وعد بلفور : قراءة في الاسباب والمحتوى والانعكاسات

الدكتور بن مصطفى دريس، جامعة الدكتور الطاهر مولاي-سعيدة

driss.benmostefa@yahoo.com

الملخص:

يتضمن المقال دراسة وتحليلا للظروف التي صدر فيها وعد بلفور المشئوم 1917م، وقد حاولنا من خلاله استحضار أهم الآراء ووجهات النظر التي جاءت شارحة الأسباب التي دفعت بريطانيا إلى منحه لليهود الصهاينة وتحديدا في تلك الفترة، إضافة إلى قراءة لما بين سطور الرسالة وما تحمله من عبارات شاذة لا يقبلها العقل والمنطق، ثم التطرق الى النتائج والانعكاسات المترتبة عنه على مسمع ومرأى من القوى الدولية الكبرى والمحافل الدولية في انحياز أعمى الى الطرف الصهيوني.

الكلمات المفتاحية: وعد-بلفور-الأسباب-المحتوى -الانعكاسات

Abstract:

The article includes a study and an analysis of the circumstances in which the Balfour Declaration was issued in 1917. We tried to evoke the most important views and views that came to explain the reasons that led Britain to grant it to the Zionist Jews, especially in that period, in addition to reading between the lines of the letter and its peculiar expressions Not accepted by reason and logic, and then address the consequences and implications of the hearing and the sight of the major international powers and international forums in blind bias to the Zionist side.

Keywords: promise-Balfour-reasons-content-reflections

يصادف الثاني من نوفمبر من كل عام ، الذكرى السنوية لصدور وعد بلفور المشئوم الذي منحت بموجبه بريطانيا الحق لليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، بناء على المقولة المزيفة -أرض بلا شعب لشعب بلا أرض- فكانت تلك الرسالة التي ضمّنها آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا وعده الموجه للورد ليونيل والتر دي روتشيلد المواطن البريطاني على شكل خطاب يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء هذا الوطن بداية أكبر وأطول مأساة لشعب يعيش غريبا مقهورا على أرضه.

فما هي الظروف المحيطة بصدوره ؟ وما المعاني التي تضمنتها الرسالة بين سطورها ؟ وما كان دور بريطانيا ووسائلها في تحقيق مضامينه؟

نص الرسالة: جاء في الوعد ما نصه (عبد الله. س،1980: 74-75):

وزارة الخارجية: الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر1917 عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني أن أنهي اليكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة، إعلان العطف التالي على الطموحات اليهودية الصهيونية، التي سبق إبلاغها إلى مجلس الوزراء وأقرّها.

" إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل أقصى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهوما بوضوح أنه لن يتخذ أي إجراء من شأنه أن يؤثر على الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين، أو على الحقوق والأوضاع السياسية التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر."

أكون شاكراً لو أبلغتم الاتحاد الصهيوني بهذا الاعلان.

المخلص آرثر جيمس بلفور

ظروف ومسوغات الوعد البريطانية والصهيونية:

لم تكن بريطانيا هي مقصد اليهود الصهاينة الأول، فقد توجه تيودور هرتزل زعيم الصهيونية إلى قيصر المانيا في أكتوبر 1898م وإلى السلطان العثماني في ماي 1901م عارضا عليهما مساعدات وخدمات الصهاينة في مقابل دعمهما للمقترحات الصهيونية، لكنهما وعلى غرار قيصر روسيا رفضا هذا العرض، بسبب خطر الأمر على العلاقات الدولية، ليتحول إلى بريطانيا في أكتوبر1902، فتلقى عرضا بتقديم منطقة أوغندا شرق افريقيا ليستعمرها اليهود، ورغم أن هرتزل قبل بالعرض مؤقتا لتكون أوغندا كملجأ لليهود المهاجرين من أوروبا ريثما يتم الحصول على فلسطين، إلا أن المؤتمر الصهيوني السابع 1906م رفض العرض مؤكدا التمسك بفلسطين(عبد الله . س، 1980: 72)

جاء الوعد على شكل تصريح موجه من قبل وزير خارجية بريطانيا آنذاك، آرثر جيمس بلفور في حكومة ديفيد لويد جورج في الثاني من نوفمبر عام 1917، إلى اللورد روتشيلد، أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية، وذلك بعد مفاوضات استمرت ثلاث سنوات دارت بين الحكومة البريطانية من جهة، واليهود البريطانيين والمنظمة الصهيونية العالمية من جهة أخرى، واستطاع من خلالها الصهاينة إقناع بريطانيا بقدرتهم على تحقيق أهداف بريطانيا، والحفاظ على مصالحها في المنطقة.

وكانت الحكومة البريطانية قد عرضت نص تصريح بلفور على الرئيس الأميركي ولسون، ووافق على محتواه قبل نشره، ووافقت عليه فرنسا وإيطاليا رسميا سنة 1918م (Davis. J. 1968. 66)، ثم تبعها الرئيس الأميركي ولسون رسميا وعلنيا سنة 1919م، وكذلك اليابان، وفي 25 أبريل سنة 1920م وافق المجلس الأعلى لقوات الحلفاء في مؤتمر سان ريمو على أن يعهد إلى بريطانيا بالانتداب على فلسطين، وأن يوضع وعد بلفور موضع التنفيذ حسب ما ورد في المادة الثانية من صك الانتداب، وفي 24 جويلية عام

1922 وافق مجلس عصبة الأمم المتحدة على مشروع الانتداب الذي دخل حيز التنفيذ في 29 سبتمبر 1923، وبذلك يمكننا القول أن وعد بلفور كان وعدا غربيا وليس بريطانيا فحسب.

من جهتها اتخذت الحركة الصهيونية العالمية وقادتها من هذا الوعد مستندا قانونيا لتدعم به مطالبها المتمثلة، في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، إلى جانب ما يسمى بوعود الكتاب المقدس التي كثيرا ما يستشهد الصهاينة بها كمصدر لتبرير دولتهم الصهيونية في فلسطين، وكذا على أساس نبوءات رسولية خلال مرحلة الأسر البابلي تقضي بعودة بقية اليهود الى فلسطين(عبد الله. س،1980: 62-63) وتحقيق حلم اليهود بالحصول على تعهد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لهم، يجمع شتاتهم بما ينسجم وتوجهات الحركة الصهيونية، التي تقوم حسب ادعائهم على ثلاثة أسس أو مبادئ أو أدلة هي الحق التاريخي، والحق الديني، والحق السياسي(أحمد سالم. ر،2008: 113)، فلم تكن فلسطين يوما أرضا مهجورة، ولا وعد الله القاطع يعطى لشرار الناس وعصاتهم، ولا ما قامت به بريطانيا كان حقا بل اغتصاب لأرض أغلبية إرضاء ورضوخا لأقلية مشتتة لا أرض ولا وطن لها(أحمد سالم ر،2008: 128) بل هو وعد بالتمكين وخلافة الأرض لمن استقام وهذا مالا ينطبق على اليهود (أحمد سالم. ر،2008: 118).

إذن وعد بلفور - هو الإسم الشائع الذي يطلق على هذه الرسالة، وحين صدر الوعد كان تعداد اليهود في فلسطين لا يزيد عن 5% من مجموع عدد السكان، وقد أرسلت الرسالة قبل أن يحتل الجيش البريطانى فلسطين، وجاء على شكل تصريح موجه من قبل وزير خارجية بريطانيا آنذاك، آرثر جيمس بلفور في حكومة ديفيد لويد جورج في الثاني من نوفمبر عام 1917م، إلى اللورد روتشيلد، أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية، وذلك بعد مفاوضات استمرت ثلاث سنوات دارت بين الحكومة البريطانية من جهة، واليهود البريطانيين والمنظمة الصهيونية العالمية من جهة أخرى، واستطاع من خلالها الصهاينة إقناع بريطانيا بقدرتهم على تحقيق أهداف بريطانيا، والحفاظ على مصالحها في المنطقة.

البواعث التي أدت الى اصداره:

إن جذور القضية الفلسطينية في الحقيقة تبدأ منذ سنة 1897م في الفترة من 29 إلى 31 أوت تاريخ انعقاد أول مؤتمر للحركة الصهيونية بمدينة بازل السويسرية بزعامة الصحافي اليهودي النمساوي تيودور هرتزل، الرامي إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين يتمثل هدفها في الفرار من موجة معاداة السامية والاضطهاد في أوروبا (عبد الله. س،1980: 71).

يعدُّ وعد بلفور الدعامة الأولى للكيان الصهيوني الغاصب أو ما يسمى بإسرائيل، وقد تواتر أن الباعث الأعظم الذي حقّق حلم الصهيونية هو ما رواه لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية الأسبق في مذكراته عن الدور الذي قام به حاييم وايزمان اليهودي الروسي خلف هرتزل عام 1904م، والذي كان

صريحا مخلصا للفكرة القائلة " إن اليهود شعب لا بد من أن يكون لهم دولة، وأنّ الدولة لا بد أن تكون فلسطين" (عبد الله . س، 1980: 74).

وقد شجع وايزمان في ربط الأهداف الصّهيونية بمصالح السياسة البريطانية في المنطقة (Davis J, 1968.10) فسعى في خدمة بريطانيا إبان الحرب العظمى، وذلك عندما ساعد بريطانيا في استخراج مادة الأسيتون التي تستخدم في صنع الذخائر الحربية التي كانت تستخرج من خشب الأشجار، وكان استخراجها بكميات كافية يحتاج إلى مقادير هائلة من الخشب، وليس في إنجلترا من الغابات ما يفي بهذه الحاجة، فكانت تستورد من أمريكا بأسعار مرتفعة.

وأخيرا اهتدى لويد- وكان يومئذ رئيس لجنة الذخائر- إلى أستاذ بارع في الكيمياء وضع مواهبه تحت تصرف بريطانيا، وهو الدكتور (وايزمان) الذي أصبح بعد ذلك مشهوراً، وكان مقتنعاً بأن أمل الصهيونية رهين بانتصار الحلفاء، فاستطاع بعد بضعة أسابيع أن يستخرج المادة المطلوبة من عناصر أخرى غير الخشب، مثل الحبوب والذرة على وجه الخصوص، وبذلك حلَّ لبريطانيا أعوص مشكلة عانتها أثناء الحرب.

ورفض الدكتور (وايزمان) كل جزاء مقابل عمله، بشرط أن تصنع بريطانيا شيئاً في سبيل الوطن القومي اليهودي للمّ شتاتهم.

لكن الأكيد فعلا هو أن اليهود المؤمنين بفكرة الوطن القومي في فلسطين قدّموا خدمة جليلة لبريطانيا بصفة خاصة والحلفاء بصفة عامة أثناء تلك الحرب، ورغم أن المنظمة الصهيونية العالمية عانت مؤقتا من حالة من التشتت بسبب وجود الكثير من قياداتها في ألمانيا، إلا أن وايزمان استطاع إعادة ترتيب أوراقها وقيادتها عمليا من خلال مركزه في بريطانيا التي سعت هي الأخرى إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام والعراق من خلال السير في عدة اتجاهات متضاربة (محسن محمد. ص:18).

كانت بريطانيا تدرك أن لليهود نفوذا في الولايات المتحدة يمكن من دفعها للمشاركة في الحرب إلى جانبها وحلفائها، الأمر الذي حدث فعلا في مارس 1917م، فضلا عن النفوذ اليهودي الصهيوني في بريطانيا ذاتها ممثلا في وزير الداخلية الصهيوني هربرت صامويل، والنصارى المتصهينين مثل رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج ووزير الخارجية بلفور(محسن محمد .ص:18).

فلما تولى هذا الأخير رئاسة الوزارة خاطب بلفور بأن بريطانيا تريد أن تجتذب إلى صفها اليهود في الدول المجاورة، والذين كانوا ميّالين إلى ألمانيا لسخطهم على روسيا، وكان لذلك أثره ووقعه على إصدار الوعد المشؤوم.

وفعلا فقد هلّل الصهاينة ورحبوا بانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، وأيّدوا الفكرة التي تقول بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني توفيرا لمزيد من التسهيلات للهجرة اليهودية ومن ثم لتطوير فلسطين، كي تصبح دولة يهودية تحمي المصالح البريطانية في المنطقة(عبد الله . س،1980: 74) .

وبعبارة أخرى فإن بريطانيا رغبت في مكافأة إسرائيل على عملها، ومساعدتها لها في الحرب، ورغبت أيضاً في كسب اليهود، فكان ذلك الوعد، وكان الثمن إعطاء من لا يملك شيئاً لمن لا يستحق.

وقد اختلفت التفسيرات والدوافع وراء هذا الوعد، فبلفور نفسه برره بأنه كان بدافع إنساني، ويرفض باحثون عرب هذه التفسيرات استنادا إلى أحداث وقراءات تاريخية مفادها أن بلفور "لم يكن يفكر في مأساة اليهود الإنسانية"، بل على العكس من ذلك فقد رفض التدخل لدى الروس لمنعهم من "اضطهاد اليهود". كما أن مساهمة اليهود في دعم بريطانيا في الحرب "كانت محدودة ومقتصرة على بعض اليهود غير الصهاينة".

أما لويد جورج الذي أصدرت حكومته الوعد فقد برّر القرار في كتابه " الحقيقة حول معاهدات الصلح" بعدة عوامل منها ما يفيد بأنه كان هناك سباق مع ألمانيا حول كسب اليهود إلى جانبهم.

أما الرؤية العربية والإسلامية فترى أنه كان هناك سعي صهيوني حثيث جعل الوعد جزءا من الحركة الاستعمارية التي ربطت "الصهيونية" بها لتحقيق أهدافها في المنطقة، خاصة أنه أعقب الوعد بفترة قليلة بداية الاستعمار الفعلي لفلسطين، اذ أتم البريطانيون إخضاعهم لفلسطين ما بين عامي 1917 و1918م ، ورافق الوعد سياستهم في فلسطين منذ صدوره وحتى خروجهم منها، ناهيك عن التنازلات التي قدمت من طرف الغريمين التقليديين فرنسا وبريطانيا لتكون فلسطين من حظ بريطانيا، بداية باتفاقية سايكس بيكو 1916م وانتهاء بمنحها صك الانتداب، لتفي بوعودها لليهود الصهاينة بإقامة الوطن المزعوم ويكون لها قاعدة متقدمة في المنطقة العربية وضامنا لها لبلوغ مصالحها الاستعمارية في الشرق.

فالوعد كان حاضرا في مؤتمر سان ريمو 1920م الذي منح فيه الحلفاء بريطانيا حق الانتداب على فلسطين وقد تم تضمين الوعد في صك الانتداب فأصبح بذلك التزاما رسميا معتمدا دوليا(محسن محمد.ص:19)، وكان حاضرا في عصبة الأمم التي صادقت في جويلية 1922 على صك إقرار الانتداب البريطاني، فالصك كان يتضمن في مقدمته نص تصريح وعد بلفور مع تخويل لبريطانيا بتنفيذ الوعد، رغم أن فكرة الانتداب التي ابتدعتها العصبة الدولية كانت قائمة على أساس مساعدة الشعوب المنتدبة وإعدادها لنيل الاستقلال.

كما كان الوعد حاضرا في دستور فلسطين الذي أصدرته بريطانيا بعد أسبوعين من إقرار انتدابها أمميا، وتضمنت مقدمته نص تصريح الوعد أيضا، الأمر الذي أعطاه قيمة قانونية دولية، بغض النظر عن صحتها أو زيفها، وأصبح سندا ومرجعا فعالا للاعتراضات اليهودية والصهيونية لكل ما يعتقدون أنه

يخالف نص هذا الوعد أو تفسيراته، يغطيه اعلام دولي زائف اصبح مقتنعا بما يسطره الغرب الميال للصهاينة من مصطلحات مغلوطة غدا يؤمن بها حتى العرب مثل السلام الشامل والدائم والقدس الكبرى والعمليات الارهابية التي تنسب للفلسطينين دون سواهم.

انعكاسات الوعد على فلسطين:

كانت الحكومة البريطانية قد عرضت نص تصريح بلفور على الرئيس الأميركي ولسون، ووافق على محتواه قبل نشره، ووافقت عليه فرنسا وإيطاليا رسميا سنة 1918، ثم تبعها الرئيس الأميركي ولسون رسميا وعلنيا سنة 1919، وكذلك اليابان، وفي 25 ابريل سنة 1920، وافق المجلس الأعلى لقوات الحلفاء في مؤتمر سان ريمو على أن يعهد إلى بريطانيا بالانتداب على فلسطين، وأن يوضع وعد بلفور موضع التنفيذ حسب ما ورد في المادة الثانية من صك الانتداب، وفي 24جويلية عام 1922 وافق مجلس عصبة الأمم المتحدة على مشروع الانتداب الذي دخل حيز التنفيذ في 29 سبتمبر 1923، وبذلك يمكننا القول إن وعد بلفور كان وعدا غربيا وليس بريطانيا فحسب.

جاء تصريح بلفور ليعطى وطنا لليهود وهم ليسوا سكانا لفلسطين وفقا للمقولة المنسوبة للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر: ((لقد أعطى من لا يملك حقا لمن لا يستحق، واستطاع الاثنان: من لا يملك ومن لا يستحق بالخديعة أن يسلبا صاحب الحق الشرعي حقه فيما يملك وما يستحق))، حيث لم يكن في فلسطين من اليهود عند صدور التصريح سوى خمسين ألفا من أصل عدد اليهود في العالم حينذاك، والذي كان يقدر بحوالي 12 مليونا، في حين كان عدد سكان فلسطين من العرب في ذلك الوقت يناهز 650 ألفا من المواطنين الذين كانوا ومنذ آلاف السنين يطورون حياتهم في بادية وريف ومدن هذه الأرض، ولكن الوعد المشؤوم تجاهلهم ولم يعترف لهم إلا ببعض الحقوق المدنية والدينية، متجاهلا حقوقهم السياسية والاقتصادية والإدارية، والذي نلمسه من عبارة الوعد: ((على أن يكون مفهوما بوضوح أنه لن يتخذ أي إجراء من شأنه أن يؤثر على الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين، أوعلى الحقوق والأوضاع السياسية الذي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر)).

ولما أتمّ البريطانيون احتلال جنوب فلسطين ووسطها في ديسمبر1917 م واحتلوا القدس في 09 ديسمبر 1917م خطب قائد الجيش البريطاني اللنبي Allenby في القدس محتفلا بانتصاره قائلا ((والآن انتهت الحروب الصليبية))، وكأن حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية (محسن محمد. ص: 19) .

وبعد خمس سنوات من صدوره ومعارضة العرب له نظرا لأن الشكوك ساورتهم في نوايا بريطانيا أصدر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني في ذلك الوقت كتابا أبيضا يطمئن العرب فيه على أن تصريح بلفور لا يعني دولة يهودية مستقلة في فلسطين ((وأن المقصود هو مجرد وطن يهودي في فلسطين،

لكن الكتاب فشل في القضاء على البلبلة التي أحدثها تصريح بلفور، اذ ظل العرب رافضين له ودعوا الى قيام حكومة برلمانية يمكن في ظلها تمثيل العرب واليهود على السواء)) (Davis. J.1968 .22)

بعد ذلك تتابعت الهجرة اليهودية من شتى أقطار العالم، وانصهرت في بوتقة اليهودية أكثر من سبعين جنسية من مصر، واليمن، والحبشة، والعراق، والهند، وأوربا، وروسيا، وأمريكا، وغيرها.

وفي عام 1948م أشار إعلان الاستقلال لدولة اسرائيل الحديثة الذي أصدره مجلس الأمة المؤقت في تل أبيب في 14 مايو 1948م والذي يعتبر تجسيدا وصياغة لوعد بلفور إلى إعادة بناء الدولة اليهودية re-establishment of the jewish state لاكير وروبين laqueur et rubin وقد جاء في الافتتاحية ((لقد كانت أرض اسرائيل مسقط رأس الشعب اليهودي، هنا تكونت هويتهم الروحية والدينية والقومية و هنا حقق هذا الشعب الاستقلال وتنشأ ثقافة كان لها أثر قومي وعالمي،.....وبعد النفي من أرض إسرائيل ظل الشعب اليهودي وفيا لهذه الأرض في جميع البلدان التي تشتت فيها....)) (كيث و.1999: 178) وبهذا ارتفع عدد اليهود من خمسين ألف مهاجر إلى ستمائة وخمسين ألفاً، في هذا العام ، ثم تتابعت الهجرات من كل أنحاء العالم.

كان وعد بلفور بمثابة الخطوة الأولى للغرب على طريق إقامة كيان لليهود على أرض فلسطين، استجابة لرغبات الصهيونية العالمية على حساب شعب متجذّر في هذه الأرض منذ آلاف السنين، ففي مذكرة كتبها اللورد بلفور بعد سنتين أي في عام 1919م، نجد العبارات التالية ((إن القوى الأربع العظمى ملتزمة بالصهيونية، وسواء أكانت الصهيونية على خطا أم على صواب وكانت شيئا جيدا أو سيئا، فإنها متأصلة بعمق في تراث من الماضي البعيد وفي حاجات الحاضر وآمال المستقبل وهي أهم بكثير من رغبات وتحيزات 700 ألف عربي الذين يقطنون الآن تلك الأرض القديمة))(- كيث. و.1999: 180)

كما اسفرت نكبة العام 1948 عن احتلال اسرائيل 77.4 بالمائة من مساحة فلسطين التاريخية وعن تهجير قسري لأكثر من 800000 فلسطيني خارج ديارهم الأصلية ولجئوا الى أماكن أخرى فيما تبقى من أرض فلسطين الضفة الغربية وقطاع غزة (رجا. ز. 2011. 10)، وقد لعبت الفرق الارهابية الصهيونية الأرغون الهاجاناه وشتيرن دورا هاما في ترويع السكان وتهجيرهم، ومن بين المجازر المروعة مجزرة دير ياسين في 10 من ابريل 1948م التي قامت بها الارغون وعن عمد وسبق اصرار على قتل جميع سكان تلك القرية وعددهم 250 فردا من كهول ونساء وأطفال ثم عمدت المنظمة الى اذاعة اخبار المذبحة لإرهاب سائر السكان (عبد الله. س،1980: 79)

في المقابل اختلفت ردود أفعال العرب تجاه التصريح بين الدهشة، والاستنكار، والغضب، وبهدف امتصاص حالة السخط والغضب التي قابل العرب بها وعد بلفور، حيث أرسلت بريطانيا رسالة إلى الشريف حسين، بواسطة الكولونيل باست، تؤكد فيها الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بالاستيطان

اليهودي في فلسطين إلا بقدر ما يتفق مع مصلحة السكان العرب، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، ولكنها في الوقت نفسه أصدرت أوامرها إلى الإدارة العسكرية البريطانية الحاكمة في فلسطين، أن تطيع أوامر اللجنة اليهودية التي وصلت إلى فلسطين في ذلك الوقت برئاسة حاييم وايزمن خليفة هرتزل، وكذلك عملت على تحويل قوافل المهاجرين اليهود القادمين من روسيا وأوروبا الشرقية إلى فلسطين، ووفرت الحماية والمساعدة اللازمتين لهم.

أما الشعب الفلسطيني فلم يستسلم للوعود والقرارات البريطانية والوقائع العملية التي بدأت تفرض على الأرض من قبل الحركة الصهيونية وعصاباتها المسلحة، بل خاض ثورات متلاحقة، كان أولها ثورة البراق عام 1929م، ثم تلتها ثورة 1936م.

وتمكن اليهود من استغلال تلك القصاصة ومن ثم صك الانتداب، وقرار الجمعية العامة عام 1947م، القاضي بتقسيم فلسطين ليحققوا حلمهم بإقامة إسرائيل في الخامس عشر من ماي عام 1948م، وليحظى هذا الكيان بعضوية الأمم المتحدة بضغط من الدول الكبرى، ولتصبح إسرائيل أول دولة في تاريخ النظام السياسي العالمي التي تنشأ على أرض الغير، لأن الولايات المتحدة التي دعمتها بعد أن ولدتها بريطانيا ورافقتها حتى بلغت أشدها بتحقيق حلمها على الأرض، نشأت هي الأخرى على أرض الغير(الهنود الحمر) لكن في غياب المؤسسات الدولية الرّاعية للنظام الدولي عكس الذي حدث مع فلسطين.

ورغم المدة التي انقضت منذ صدور الوعد إلا أن أهميته لا تزال قائمة، لأن ما سمي بالوطن اليهودي في هذا الوعد لا يزال يتمدد ويأكل من وطن كان للفلسطينيين وفيه مقدسات للمسلمين- وتسبب في تشريد الملايين فضلا عمن قتلوا دون أن يجدوا من يدافع عنهم ويوقف تلك المجازر، ألم يزعم اليهود أنهم مظلومون، وأنهم قد نكل بهم وأوذوا، وأن هتلر أباد خضراءهم وقتل ابناءهم فتحركت الرحمة في قلوب الأقوياء من دول الأرض فأرادوا أن يجدوا لهم دارا، فلم يجدوا لهم دارا غير دارنا، فأجبرونا أن نخرج من مساكننا على حد تعبير علي الطنطاوي (علي. ط،1990: 9)

وعند كل ذكرى سنوية لوعد بلفور أصبح من العادة أن يطالب كتاب ومثقفون عرب من بريطانيا الاعتذار عن هذا الوعد جراء ما تسببه لشعوب المنطقة، خاصة بعد وضوح أسبابه الاستعمارية غير النبيلة كما يرون، كما تطالب دول أخرى عربية وغير عربية من الدول التي استعمرتها الاعتذار عن جرائمها.

فإحياءً لذكرى وعد بلفور المشؤوم نظّم مركز العودة الفلسطيني ندوة عامّة في مقرّ مجلس العموم البريطاني بعنوان: "وعد بلفور ودوره في نشوب الصراع" ترأس الندوة النائبان البرلمانيان السيد ريتشارد بيردن والسيد أندرو لاف ، وكلاهما من المناصرين لقضيّة فلسطين.

وقد سعى الدكتور داوود خلال محاضرة إلى تقصّي الأبعاد الحقيقيّة التي تقف وراء إصدار بريطانيا لوعد بلفور رغم رفض رئيس الوزراء هربرت أسكويث لمقترحات الصهيوني "هربرت صامويل" بخصوص حماية بريطانيّة لفلسطين تسهّل عمليّا إقامة المشروع الصهيوني وذلك قبل عامين فقط من صدور وعد بلفور، وقد عرض الباحث الأسباب الرئيسية التي قدّمت لتبرير هذه الخطوة البريطانيّة وأبرزها:

- تحقيق ما يعتقد أنّه تعاليم المسيحيّة: فتصاعد النزعة الصهيونيّة المسيحية جعل فكرة عودة اليهود إلى أرض فلسطين تبرز بقوّة كشرط لعودة المسيح عليه السلام ودخول اليهود في المسيحيّة وبالتالي نهاية العالم. وهو ما يعني أنّ تسهيل احتلال اليهود لأرض فلسطين كان عبارة عن نوع من العمل الديني المسيحي لدى الصهاينة الغربيّين، أي أنّ منشأه "لم يكن حبّا في اليهود ولكن تطبيقا لمعتقدات دينية متطرفة".

ففي خضم التنافس الإمبريالي على السيادة والمصالح الإستراتيجيّة نجد أنه كان لفرنسا موطأ قدم في فلسطين بعلاقتها مع المسيحيين الكاثوليك، وروسيا بعلاقتها بالأورثوذكس، بينما لم يكن لبريطانيا من بين السكّان الأصليّين حليف، وهو ما جعلها تسعى إلى أن تعقد تحالفا مع الصهاينة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ موقع فلسطين الاستراتيجي كنقطة التقاء لثلاث قارات وسعي ألمانيا وروسيا وفرنسا إلى تعزيز مواقعهم بالمنطقة جعل بريطانيا تفكّر بجدية في بسط نفوذها على فلسطين حتى تضمن عدم تحوّلها إلى أيادي أخرى بعد الحرب، وبالتالي تضمن مصالحها الإستراتيجيّة لفترة طويلة.

واختتم الدكتور عبد الله عرضه بالقول: إنّ وعد بلفور ليس مقدّسا، وأنّه يجب العودة إليه والتراجع عمّا ورد فيه والاعتذار للشعب الفلسطيني عمّا عاناه بسببه من كوارث. كما أنّه ليس على أصحاب الضمائر الحرّة الالتزام بما ورد فيه، فهو ليس أشدّ إلزاما من اتفاقيات كيوتو والصواريخ البالستيّة وغيرها التي رفضت أمريكا التوقيع عليها. وما دام قادة العالم والساسة يواصلون العودة إلى وعد بلفور كمرجع فإن النزاع والصراع سيظّلان رهينةَ مشكلٍ صنعه أشخاص ويمكن أن يحلّه الأشخاص.

وفي مداخلته ركّز ميشيل عبد المسيح على عدم قانونيّة إسرائيل أساسا، لعدم قانونيّة وعد بلفور لأنه وعد من شخص لا يملك تلك الأرض ليقدمها لطرف ثالث غريب تماما عنها، كما أشار إلى المغالطة الكبرى في استعمال المصطلحات لأنّه -أي الوعد- مجرّد وعد سياسي كتبه الصهاينة أنفسهم ولا يعطيهم أي شرعيّة قانونيّة للاغتصاب، وأنّ الأساس القانوني الثاني الذي يبني الصهاينة مشروعهم عليه وهو "قرار التقسيم من الأمم المتحدة" يعتبر أيضا لاغيا لأنّه يناقض مبدأ حق تقرير السيادة للشعوب ويعطي حقا موهوما للأمم المتحدة لتقرّر بدلا عن الشعب الفلسطيني.

وقد اختتم السيد ميشيل حديثه بالتأكيد على أنّ بلفور الذي دعا إلى قمع الأيرلنديين كان سببا في معاناة الفلسطينيين، وأنّه بوعده هذا صادر حق الفلسطيني في تقرير مصيرهم بنفسهم وأسس لمشروع إرهابي لازال العالم كله يعاني من نتائجه إلى اليوم، كما دعا النواب البريطانيين إلى المطالبة بمراجعة

الوعد، وقد أثنى السيد ميشيل عبد المسيح على جهود المركز الذي يقف اليوم بكلّ جرأة عارضا أوجه المظالم التي تعرضّ الشعب الفلسطيني لها ولا يزال.

الخاتمة:

إذن يمكن القول بأن وعد بلفور جاء لتلبية رغبة حركة عنصرية غير شرعية على حساب أهل الأرض الشرعيين نتيجة لخدمة ظرفية جعلت شعبا بأكمله يعاني الغبن والتشرد والظلم أمام مرأى ومسمع من العالم، ولا شك أن قضية فلسطين والاحتلال الاسرائيلي أصبحت تشكل معضلة حقيقية شغلت بال العالم والسياسيين لعدة عقود مضت، فيمكن القول بأنها القضية الأعقد والأصعب، والأكيد أن فلسطين ستستمر عربية مهما تآلفت قوى الشر ضدها لأن مقومات استمرارها مازالت قائمة وموجودة، ممثلة في الشعب العربي الفلسطيني وما يحتفظ به من لغة وعادات وتقاليد ووحدة الهدف والمصير، ولن يثنيه في ذلك الانحياز الأعمى لمجلس الأمن الذي كأنما أنشئ لحماية وكفالة الأمن لإسرائيل وحدها، ولا المواقف المتخاذلة والمخذلة في أن واحد لحكومات كثير من البلاد العربية، ورغم ماذكرناه يبقى المجال ضيقا لذكر ما رافق الوعد وأعقبه من تداعيات لا تزال متواصلة الى يومنا هذا.

البيبليوغرافيا:

- ويتلام كيث، 1999، اختلاق اسرائيل القديمة-اسكات التاريخ الفلسطيني، عالم المعرفة.
- صالح محسن محمد، فلسطين، 2002 -سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، كوالالامبور.
- علاء النادي،2003، صراع المصطلح ومعركة الهوية، بيروت، مركز الاعلام العربي، مؤسسة القدس.
- السلطان عبد الله عبد المحسن، 1980، البحر الاحمر والصراع العربي الإسرائيلي- التنافس بين استراتيجيين- ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- رحال أحمد سالم، 2008، فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلمود، ط1، دار البداية.
- زعاتره رجا،2011، الهوية، الناصرة، لجنة متابعة قضايا التعليم العربي.
- الطنطاوي علي،1990، قصتنا مع اليهود، ط1، دار المنارة.

-Davis John, 1968’ the evasive peace- a study of the zionist-arab problem- London Murray.

- مركز العودة، ندوة حول وعد بلفور، مجلس العموم البريطاني. https//. prc.org.uk/ar/post/265